

أوراق من روزنامة  
دمشق

تلقت تعليمي الابتدائي والإعدادي، وتخرجت منها متممة المرحلة الثانوية. كان لقائي الأول "المجازي" مع الرب. في المدرسة التي كانت غالبيتها طالبات مسلمات من البرجوازية الدمشقية "التي انكفأت" مع أقلية من الطالبات المسيحيات، كانت مادنا الديانة الإسلامية والمسيحية تدرّسان لنا في نفس الحصة الزمنية ولكن بعد أن يتم فصل الطالبات المسيحيات عن زميلاتهن المسلمات، حيث كنا - أعني المسلمات - لا نغادر غرفة الصف. بينما كانت مجموعة الطالبات المسيحيات تغادرننا إلى حيث يترعب الدير المسيحي في قبو المدرسة ذات البناء المعماري الفرنسي العريق.

كان الفصل بين الزميلات، القائم على الانتماء الديني، يثير في نفسي الكثير من إشارات الاستفهام عن ماهية الاختلاف بين تعاليم الديانات السماوية وطبائعها وأهوائها طالما أننا نتوجه، أفراداً وجماعات، على اختلاف هوياتنا الدينية، إلى عبادة الرب الله الأحد، فاطر السموات والأرض.

أشد ما كان يثير مخيلتي وفضولي، هو ذلك المقصد الذي يمكن خلف الأبواب المغلقة للدير المهيب في القبو، حيث كانت الزميلات المسيحيات يتلقين دروس الديانة المسيحية، وقد كتبت بالعربية على بابها الشاسع المغلق في هيئة عبارة: بيت الله.

## مرح البقاعي

كاتبة سورية أميركية

لو لم اغادرها لكان لي اليوم درج أصعدته قفزات نحو الطابق الثاني من بيتنا في حي المهاجرين يحاكي بشرفته الشاسعة خذ قاسيون الأسمر، يحدثه عن تلك اليافعة التي لا ترضى بأقل من الشعر مستقراً.

ولكانت أحواض البنفسج المرصوفة على حوافها لا تزال شاهدة على انبلاج قهوتنا العامرة بدخان حب الهال، وعلى الحركة السريعة لأي وهي ترتب يومنا الجديد، تعد له بحبها الرفيع حتى لا نتعطر بطيشنا.

ولكان جيران الخير هم جيران الخير، يتقاسمون الحكايا وأرغفة الخبز الساخن، وبعضاً من التنمية الطرية. ولكن بانع "التماري والكعك" لا يزال متوقفاً بعربته الزجاجية الصغيرة تحت شباكنا، رافعا رأسه منادياً باسم تلك الحلوى الأيقونية - مفتاحي الصباحي إلى سكر الحياة.

لكنني عبرت باتجاه عاصمة الانبهار باريس، ومنها إلى معقل الأشداء وراء المحيط. ولم أعد!

لم يسعفني الابتعاد في الهروب من المشاهد الراجفة في الذاكرة تتناوبني نوبات من نوستالجيا الغارق في إكثار متواه الأخير.

غادرت قبل أن أجمع صورنا المعلقة إلى الجدران وأسلاك الهواء، وتسللت من الباب الخلفي تجنّباً لطقوس الوداع الثقيل على الروح، ففي السفر موت مؤجل.. وأنا لا أريد أن أموت بعيداً عن روزنامة أمني.

كانت تقلب أوراق الأيام من إسماكية رمضان (روزنامة الصائمون يوزعها جاران البقال كل سنة مرة ولأني دانما منها نصيب)، وغالبا ما كانت تسجل على هامشها عدد باقات النعناع التي تستنيرها وكم دعة ستسكب بعد أن أغيب.

نسغ دمشق مغروس في وريدي كالمصل في عروق المسجى في غيبوبة.. فكيف سيسعفني أكسجين المدن الغربية خارج هذا الشرط!

شريط درامي من صور الطفولة يدهمني وأنا على بعد قاريتين من مسقط الرأس دمشق.

مزارع التفاح والذراق في جبال مصيف بلودان حيث اخترت رعشني الأولى وقصيديتي الأولى أيضا.

الطابور الصباحي الطويل والبومي، على أبواب الفرن الذي يقابل شرفة بيتنا، هناك حيث نبتت أشواك وعبي السياسي المبكر بحقيقة اعتقال الحياة المدنية في دمشق ورجاحة كفة العسكر.

الوقوف المذلة لأهل الحي، سيدات وشيوخا وأطفالا، على أبواب قرن العم أبو عجاج بانتظار الحصول على ربطة من الخبز، في حين يتمنّى سائق سيارة جيب عسكرية تتوقف بعصبية استفزازية على الرصيف من اختراق الصفوف في برهة ليحصل على خبزه على الفور متجاوزاً كل المنتظرين في الطابور الطويل بحجة ضرورة إسراره للالتحاق بمهامه العسكرية على خط الجبهة، الجبهة الأهدأ في العالم التي لم تشهد إطلاق رصاصة واحدة باتجاه "العدو" منذ استولى حافظ الأسد على السلطة بقوة السلاح وفعل الانقلاب العسكري.

طابور لقمة العيش امتد في الزمان والمكان واحتاز عهد الأب إلى الابن.. وما هم أهل دمشق في العام 2020 في الوقفة المذلة عيها.. لكن، فوق ركام المدينة!

في المدرسة الفرنسية بدمشق "مدرسة راهبات الفرنسيسكان" حيث

كانت تقلب أوراق الأيام من إسماكية رمضان (روزنامة الصائمون يوزعها جاران البقال كل سنة مرة ولأني دانما منها نصيب)، وغالبا ما كانت تسجل على هامشها عدد باقات النعناع التي تستنيرها وكم دعة ستسكب بعد أن أغيب.

نسغ دمشق مغروس في وريدي كالمصل في عروق المسجى في غيبوبة.. فكيف سيسعفني أكسجين المدن الغربية خارج هذا الشرط!

شريط درامي من صور الطفولة يدهمني وأنا على بعد قاريتين من مسقط الرأس دمشق.

مزارع التفاح والذراق في جبال مصيف بلودان حيث اخترت رعشني الأولى وقصيديتي الأولى أيضا.

الطابور الصباحي الطويل والبومي، على أبواب الفرن الذي يقابل شرفة بيتنا، هناك حيث نبتت أشواك وعبي السياسي المبكر بحقيقة اعتقال الحياة المدنية في دمشق ورجاحة كفة العسكر.

الوقوف المذلة لأهل الحي، سيدات وشيوخا وأطفالا، على أبواب قرن العم أبو عجاج بانتظار الحصول على ربطة من الخبز، في حين يتمنّى سائق سيارة جيب عسكرية تتوقف بعصبية استفزازية على الرصيف من اختراق الصفوف في برهة ليحصل على خبزه على الفور متجاوزاً كل المنتظرين في الطابور الطويل بحجة ضرورة إسراره للالتحاق بمهامه العسكرية على خط الجبهة، الجبهة الأهدأ في العالم التي لم تشهد إطلاق رصاصة واحدة باتجاه "العدو" منذ استولى حافظ الأسد على السلطة بقوة السلاح وفعل الانقلاب العسكري.

طابور لقمة العيش امتد في الزمان والمكان واحتاز عهد الأب إلى الابن.. وما هم أهل دمشق في العام 2020 في الوقفة المذلة عيها.. لكن، فوق ركام المدينة!

في المدرسة الفرنسية بدمشق "مدرسة راهبات الفرنسيسكان" حيث



## فرنسا تعرف لبنان ولا تعرفه!

مع الإدارة الأميركية الجديدة من أجل العودة إلى الاتفاق في شأن الملف النووي الإيراني.

هل أصبحت فرنسا خارج اللعبة اللبنانية كلياً، علماً أنها مرتبطة بالبلد تاريخياً من زوايا عدة وعلماً أنها طرف من بين الأطراف الستة التي وقعت الاتفاق في شأن الملف النووي مع إيران صيف العام 2015 في عهد براك أوباما؟ لا شك أن نفوذ فرنسا تقلص إلى حد كبير خصوصاً أنها لا تمتلك الوسائل التي تسمح لها بتنفيذ سياستها اللبنانية. لا تمتلك سوى النصائح التي أسداها ماكرون والتي كانت بالفعل صادقة. لكن المشكلة تكمن، بكل بساطة، في أن الرئيس الفرنسي وكبار مساعديه الذين يتعاملون مع الأزمة اللبنانية يعرفون البلد ولا يعرفونه. يعرفون تفاصيل التفاصيل عن ملفات الفساد في لبنان، خصوصاً في قطاع الكهرباء ولديهم سيّدة طرحوا اسمها لوزارة الطاقة التي يصير باسيل على الاحتفاظ بها. يصير على ذلك، برغم فشله الزريع في تحسين وضع الكهرباء في لبنان، وهو وضع كان تحت سيطرته الكاملة طوال ما يزيد على عشر سنوات..

ما لا تعرفه فرنسا، أو ما لا تريد أن تعرفه يتمثل في أن "حزب الله" الذي يتحكم بالبلد لواء في "الحرس الثوري" الإيراني ولا شيء آخر غير ذلك. ينحصر الاهتمام الإيراني في الوقت الحاضر بفتح خطوط تفاوضية مع إدارة جو بايدن وذلك تحقيقاً لحلم قديم، يقوم هذا الحلم على فكرة العودة إلى الوضع الذي كان سائداً في العام 2015 عندما كان أوباما يعتقد أن الملف النووي الإيراني يختزل كل مشاكل الشرق الأوسط والخليج.

سيبقى هذا الحلم حلماً، لا شيء سوى لأن العالم تغرّب أميركا نفسها تغرّت، لكنه ليس معروفاً بعد إلى أي حد حصل مثل هذا التغيير بعدما أقرت العقوبات التي فرضتها إدارة دونالد ترامب تأثيراً كبيراً على "الجمهورية الإسلامية". ما هو معروف أن أوروبا نفسها تغرّت وابتات تعرف إيران بطريقة أفضل وتفرّض أيّ مفاوضات معها لا تشمل الصواريخ الباليستية والسلوك الإيراني في المنطقة، بما في ذلك لبنان.

قبل الذهاب إلى الجزم بأن فرنسا فشلت كلياً في لبنان، لا يمكن تجاهل أن إدارة بايدن حريصة كل الحرص على إعادة من الجسور مع أوروبا، مع فرنسا وألمانيا تحديداً. ستكون مختلفة، في هذا المجال، عن إدارة ترامب. يفترض في مثل هذا التطور دفع "العهد القوي" إلى التفكير مرتين قبل اتخاذ قرار نهائي بأن المبادرة التي طرحها ماكرون صارت من الماضي وأن لا خيار أمامه سوى أن يستمر في لعب دور الغطاء المسيحي لـ "حزب الله" وسلاحه المذهبي، أي لإيران و"الحرس الثوري" فيها...

بضوء أحمر إيراني. بات كل الوضع اللبناني معلقاً. فجأة لم يعد رئيس الجمهورية مهتماً بتشكيل حكومة برئاسة سعد الحريري. صار همه المستقبل السياسي لصهره جبران باسيل، وهو مستقبل شيع مونا في ضوء العقوبات الأميركية التي فرضت على صهر رئيس الجمهورية الذي يرأس "الجيش الوطني الحر"، أي "الجيش العوني" المتحال في العمق مع "حزب الله" منذ شباط - فبراير 2006.

لا يمكن التوفيق بين مصلحة لبنان ومصلحة شخص معين ما كانت الإدارة الأميركية لتفرض عليه عقوبات، بموجب قانون ماغنيتسكي المرتبط بالفساد، لولا امتلاكها ما يبرز مثل هذه الخطوة. عون ليس مجرد شخص طارئ على السياسة يمتلك القدرة على لعب لعبة التذاكي، أي الانتقال من المساهمة في صدور "قانون محاسبة سوريا واستعادة لبنان سيادته"، عن الكونغرس في العام 2003، والانتقال إلى توقيع وثيقة مار مخايل مع حسن نصرالله الأمين العام لـ "حزب الله" في شباط - فبراير 2006، مع ما يعنيه ذلك من تغطية طرف مسيحي لبناني لسلاح مذهبي ميليشيوي موجود في تصرف "الحرس الثوري" الإيراني.

من الطبيعي أن يصاب الرئيس الفرنسي بصدمة بعدما اكتشف أن الطبقة السياسية في لبنان غير معنية بإتخاذ لبنان، بل إن لبنان يغرق مثل سفينة "تيتانيك" التي غرقت في العام 1912، ولكن من دون موسيقى، على حد تعبير وزير الخارجية الفرنسي جان إيف لودريان في حديث أدلى به أخيراً إلى صحيفة "لو فيغارو".

يستفيد "حزب الله" إلى أبعد حدود من اعتقاد رئيس الجمهورية أن في استطاعته إعادة تعويم باسيل. ليست إعادة التعويم هذه، التي تجري على حساب البلد، سوى تنمّة منطقية لسياسة إيرانية تقوم على فكرة أن لبنان ورقة إيرانية وأن في الإمكان الاستفادة من هذه الورقة، بين أوراق أخرى، في مفاوضات أي مفاوضات

فرنسا.. هل أصبحت خارج اللعبة اللبنانية كلياً علماً أنها مرتبطة بالبلد تاريخياً، وأنها طرف من بين الأطراف الستة التي وقعت الاتفاق في شأن الملف النووي مع إيران صيف العام 2015؟

فرنسا.. هل أصبحت خارج اللعبة اللبنانية كلياً علماً أنها مرتبطة بالبلد تاريخياً، وأنها طرف من بين الأطراف الستة التي وقعت الاتفاق في شأن الملف النووي مع إيران صيف العام 2015؟



## خير الله خير الله

إعلامي لبناني

قبل أيام قليلة من عودة الرئيس إيمانويل ماكرون إلى لبنان لتفقد الوحدة الفرنسية العاملة في إطار القوة الدولية في جنوب البلد، وهي عودة لم تعد أكيدة بعد إصابة الرئيس الفرنسي بفايروس كورونا (كوفيد - 19)، هناك ملاحظات تستاهل التوقف عندها. من بين هذه الملاحظات احتمال طي صفحة المبادرة التي حملها ماكرون في زيارتين سابقتين الأولى مباشرة بعد تفجير ميناء بيروت في الرابع من آب - أغسطس الماضي والثانية في الأول من أيلول - سبتمبر وذلك في الذكرى المثوية لإعلان دولة لبنان الكبير من قصر الصنوبر، مقر إقامة السفير الفرنسي المعتمد لدى الجمهورية اللبنانية.

ما يوحى بإمكان طي صفحة المبادرة الفرنسية، التي كان يمكن أن توفر فرصة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من البلد، العجز عن تشكيل حكومة وفق خارطة طريق وضعتها باريس. في أساس خارطة الطريق هذه، تولي حكومة اختصاصيين القيام بالإصلاحات المطلوبة بغية تمكين لبنان من الحصول على مساعدات هو في أشد الحاجة إليها.

ليس سراً أن لبنان لن يستطيع الحصول على أي مساعدات من أي نوع من دون إصلاحات تلبى شروطاً معينة لصندوق النقد الدولي. مثل هذا الأمر ليس سراً في غياب أي اهتمام عربي بلبنان. يعود ذلك إلى أسباب عدة من بينها أن دول الخليج العربي التي كان يمكنها مساعدة لبنان تعتبر البلد ساقطاً عسكرياً وسياسياً في ظل "العهد القوي" الذي يرأسه ميشال عون والذي هو في الواقع "عهد حزب الله".

هل يمكن القول إنه لم تعد هناك فائدة من المبادرة الفرنسية؟ الجواب أن مجرد الفشل في تشكيل حكومة، تحل مكان الحكومة التي استقالت بعد تفجير مرفأ بيروت، يعكس ازدياداً لكل الجهود التي بذلها الرئيس الفرنسي من جهة ورغبة إيرانية في بقاء لبنان ورقة إيرانية يفاوض بها الإدارة الأميركية الجديدة. هذا ما بدا واضحاً من توقف مفاوضات ترسيم الحدود بين لبنان وإسرائيل. بدأت المفاوضات بضوء أخضر إيراني وتوقفت

متى يعيد الأسد الابن سوريا لأهلها من المهجرين قسراً والمعتقلين والنازحين والصامتين على قهر؟ وأنا متى أعود لأقلب ما تبقى من أيام في روزنامة أي المعلقة على حيطان دمشق؟

تسللت خلف الراهبة الأم. كما كنا ندعوها - وهي تفتح باب الدير الكبير بمهابة، كانت تلج دارة من الظلال التي لا يشوب سكوتها سوى حزمات من الضوء النافذ من زجاج الشبابيك المغطى بوجوه القديسين.

تقدمني خفيف توبها الناصع البياض وهو يندرج بروية على الرخام البارد للممر الطويل الذي يؤدي إلى المذبح. عقب البخور يتناهى بسيراً إلى حواسي المنتفخة، بينما الشموع تكمل ثالوث الأبيض والبخور والنور، وقد ارتسم في سني وعبي المبكر خطاً افتراضياً يصل "الموجود" الأرضي بـ"المرموز" السماوي.

في العام 1967 أصدر حزب البعث الحاكم في سوريا أمراً يقضي بالاستيلاء على الممتلكات الخاصة بما فيها الممتلكات الكنسية.

بناء عليه، نُقِد قرار يقضي بتأميم مدارس راهبات وراهبان الفرنسيسكان التي شيدت منذ العام 1942، ومنها مدرستي، بعد أن أزالوا التماثيل والإيقونات عن بهوها الكبير.. وقتلوا البخور في المهدي.

في العام 2020 عادت ملكية مدرسة الفرنسيسكان في حلب لرهينة الآباء الفرنسيسكان المالكين الأصليين، بما دُعي "مكرمة" بشار الأسد.

سؤال: متى يعيد الأسد الابن سوريا لأهلها من المهجرين قسراً، والمعتقلين، والنازحين، والصامتين على قهر؟ وأنا.. متى أعود لأقلب ما تبقى من أيام في روزنامة أي المعلقة على حيطان دمشق؟

